

ونقل عن بعض الفلاسفة أنه قيل له : فلان يكذب في شعره ! فقال : يراد من الشاعر حسن الكلام ، والصدق يراد من الأنبياء(١) .

والمقصود بالكذب هنا هو تجاوز حقائق الأشياء ، وهي الحقائق المعروفة التي تتكون منها ماهياتها ، والتحدث عنها بغير هذه الحقائق ، أو أن يكون لتلك الأحاديث أصل ، ولكن الشعراء لا يلتزمون ولا يقفون عنده ، بل إنهم يسرفون في هذا الأصل ، ويغالون ويبالغون فيه ، حتى يجاوزوا دائرة المعروف الممكن إلى دائرة المستحيل الذي لا يقع .

وقد يرى قوم من النقاد فساد ذلك التجاوز ، ويرون أن المبالغة في وصف الأشياء لا يكاد يستعملها إلا من عجز عن استعمال المألوف والاختراع الجارى على الأساليب المعهودة ، فعمد إلى هذه المبالغة ، ليسد خلل بلاذته ، بما يأتي من التهويل ، فيخرج بالكلام إلى حد الاستحالة .

ولكن فريقاً آخر من النقاد ، ومنهم قدامة بن جعفر ، يرون أن الغلو أجود المذهبين ، الغلو والاقتصار على الحد الأوسط - ويقولون إنه رأى العالمين بالشعر والشعراء قديماً ، فقد قال قائلهم « أحسن الشعر أكذبه » أو « أعذبه أكذبه » وكذا يذهب فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم .

ولعل هذا الرأي أقرب الآراء إلى طبيعة الشعر الذى يعتمد على التخيل ، ويكون جماله بما يبدو فيه من المعاني التي لا تؤلف . والمنطقيون يقولون في حده إنه « قياس مؤلف من الخيالات ، والغرض منه انفعال النفس بالترغيب ، والتنفير » ومعنى هذا أن الحقائق العقلية ليست سبيل معانيه ، وليس اثبات تلك الحقائق ميدانه أو غايته ، وإنما غايته التأثير في العواطف ، وإثارة النفوس . ولاشك أن ذلك الغلو من أسباب التأثير ، وإخراج الشعور من دائرة الواقع أو دائرة الحس إلى عالم خيالي يصوره الشاعر بخياله المغالى المغرب . وذلك الإغراب هو الذى يجعل النفوس تستشرق ، وتتابع الشاعر ، في تأمل وتدقيق لتدرك الجديد الذى أبدعه الشاعر مما ليس معروفاً ولا مألوفاً ، وهذا ما أراده القائلون بقولهم « خير الشعر أكذبه » أو « أعذبه أكذبه » ! وقول البحرى :  
كلفتمونا حُدودَ منطِقكمُ في الشعر يكفى عن صِدقة كذبته

(١) كتاب الصاعتين ١٣٧ .